بَوحُ الخبَايا

بفوائدِ حَديـــث برَّاق الثَّنايـــا

(وجبَت مَحبَّتي)



صياغة
د.حمزة بن فايع الفتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

« طاقةُ الحب الأخوي تمنحنا الثبات والقوة والعقل »

ولابد من شكوى إلى ذي مروءةٍ يواسيكَ أو يسليك أو يتوجعُ

« لو تحقق الوصال الإيماني بمصداقية، لما عرفت مجتمعاتنا السلبية ».

« وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: «وأين مثل الأخ الصالح؟ يدعو لك في ظلمة الليل، وأنت تحت أطباق الثرى»».

الطليعة

حمدًا للمولى الكريم ، وصلاة وسلامًا على خير المرسلين ، ورحمة العالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد:

فيتقلبُ العالمُ ما بين سَعةٍ وضيق، أَو سعادة وشقاوة ، أو صفاء وحشة، ولكلٍ نوافذُ ووسائل..!

ومعَ الشعور بالوحشة الاجتماعية في الحياة المدنية، وانشغال الناس، وتفرق النخب، بات التذكير بالتواصل الأخوي ضروريا، والتواصي الشرعي حتميًا، لا سيما ونحن نشاهدُ معالم للتقصير، وأعلاما للقصور، ومنارات ذاتَ تشتتٍ وتنافر وانزواء .

حيث فرّقت الدنيا ، وذاع التنافسُ المالي، واشتعلت الفرقةُ والقطيعة بين الأنام.

وبسبب هذه الجفوة الاجتماعية وانشغال الناس في إغراءات الحياة ، فاستحب أن يذكرهم بحديث جليل يوجبُ الاجتماع على الخير والذكر ، وسؤال بعضهم عن بعض، وأن هذا من عوامل الثبات والاستحضار الإيماني، وهو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (يقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتحابِّين فِيَّ والمتباذلين فِيَّ).

وقد تبتدئ هذه الألفةُ الاجتماعية برهط من الناس ثم تتكاثرُ مع مرور الأيام ، وقد كان معتنى بها قديمًا ، فكنا نتلاقى على مدار الأسبوع مرةً ، ونحضر دروس المشايخ المتنوعة بعدد قليل، ولم يزل ينصح بعضُنا بعضا ، ويثبتُ بعضنا بعضًا ، وكنا نجد اثر ذلك التواصل في حياتنا ، وهذا تقريبًا قبل نحو ثلاثين سنة، ثم تطورت الحياةُ واللقاءات الإيمانية ، وغلبت في الديوانيات والاستراحات ، ونرجو أن تكون محلا للفائدة ، وظرفًا للعلوم والطرائف ، والمنثورات والمُلح .

وصار من آلات التواصل التراسلُ الالكتروني ، والمجموعات التقنية عبر الواتس وأخواته من نِعم التقنية، التي امتن بها الباري تعالى.. ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (ابراهيم: ٣٤).

ولكن التواصل الحقيقي عبر الزيارات في الله، والمجالسات العلمية، والتلاقح الإيماني، بحيث يزكّي بعضُهم بعضا ، فإن تيسر ذلك فهو الأبرك والأكمل ، وإلا فالتقنية أضعف الإيمان ، وأبعد عن الهجران، وَقَدْ سطعت مع الوسائل الحديثة ، وازدادت أهميتها إبان وباء كورونا ، وانتفعنا بها علمًا وتذاكرا وتواصيا .

ومع كل ذلك ، وباختلاف ظروفها وأحوالها يبقى المؤمن محتاجًا لإخوته ، لصيقًا بأحبته، يود الخل الوفي، والصديق النقي، والسمير التقي، الذي يدله على الخيرات ويعينه عليها ، وينيره المعالي ويعضده فيها..!

ونعتقد أن من أسباب الثبات وتحقيق الصفاء الروحي التحاببَ في الله، وحسن التزاور الإيماني ، وتطبيق مقاصدِ هذا الحديث الشريف ، وأن لا ينبغي لهذه الحياة بُشغولها أن تَصرفَنا عن ذلك، أو تفرقَ وحدتنا، وتشق ألفتنا وإخاءنا . فالحب رباطٌ، والزيارة تثبيتٌ ، والمجالسة إيناس، والتباذل عطاء ومصداقية .

وكما قيل :

أَخاكَ أَخاكَ إِنَّ من لا أَخاً لَه	كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ
لَحا اللّٰه من باع الصديق بغيره	وما كل بيع بعته برباح!!

وهو ما تحاولُ اليَراعةُ الوعظية الحديثية أن تجليه من خلال معاني الحديث الرئسية ، ثم ما اقتُبس من آثارها وثمارها ، مبحرين في الحب والتزاور، والتجالس والتباذل على طريقة الحافظ ابن رجب الحنبلي، صاحب الشروحات المفيدة، والأجزاء الفريدة، سائلا المولى الكريم حُسن القصد وصحةَ الفهم . اللهم

لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنتَ العليم الحكيم ، اللهم زدنا علمًا وعملا ، وتسديدا وتوفيقا، وإيمانًا ويقينا ، انك الرب البرُّ الرحيم .

المدينة المنورة

وطيبة الطيبة

والحرم النبوي

٢٠/٣/١٤٤٤هـ

نص الحديث:

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ -رحمه الله- أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي، فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ».[1]

---

(١) مالك (٢٧٤٤) المسند (٢٢٠٠٢).

وفي رواية في المسند: قال: ثُمَّ خَرَجْتُ، فَأَلْقَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي حَدَّثَنِي مُعَاذٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِينَ فِيَّ يَعْنِي نَفْسَهُ - وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ». (٢٢٠٦٤).

وفي رواية أخرى: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَصَافِينَ فِيَّ الْمُتَوَاصِلِينَ». شَكَّ شُعْبَةُ فِي الْمُتَوَاصِلِينَ، أَوِ الْمُتَزَاوِرِينَ. (٢٢٠٠٢).

وفي رواية: (حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ فِيَّ». (٢٢٧٨٣).

ترجمة راوي الحديث :

أولا : أبو إدريس الخولاني :

هو عائذ الله بن عبد الله ويقال فيه عيذ الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة الخولاني. الواعظ المشهور، والحكيم المحبوب.

قال فيه الذهبي رحمه الله : «قاضي دمشق وعالمها وواعظها ..» وُلِد عام الفتح بحياة النبي ولكن لم يصحبه، ووالده يعد من الصحابة، ولكنه أدرك وصحب عددًا كبيرا من الصحابة مثل أبي ذر الغفاري وأبي موسى الأشعري ومعاذ وغيرهم . وكان واعظا مهيبًا ، موثقًا عند الحفاظ .

من اقواله: أن رجلًا استوصاه، فقال له: أوصني يا أبا مسلم، قال: «اذكر الله تعالى تحت كل شجرةٍ ومدرةٍ»، فقال: زدني، فقال: «اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناسُ من ذكر الله تعالى مجنونًا».

قال: وكان أبو مسلم يُكثِر ذكرَ الله تعالى، فرآه رجلٌ وهو يذكر الله تعالى فقال: أمجنونٌ صاحبكم هذا؟! فسمعه أبو مسلم فقال: «ليس هذا بالجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون»).

توفي عام ٨٠ هـ .

ثانيًا: صحابي الحديث:

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي ، إمام العلماء وشيخ الفقهاء ، وأعلمهم بالحلال والحرام.

أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري شهد العقبة شابا أمرد وله عدة أحاديث مشهورات.

من مناقبه: علمه الفسيح بالحلال والحرام، واستقضاؤه باليمن، ومحبة رسول الله له، وإركابه رديفًا له .

قال : (يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ». فَقَالَ :

«أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

وحديث : قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ : عُفَيْرٌ، فَقَالَ : « يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ ». قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وفي المسند : (وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ). وكلها أحاديث صحيحة .

كانت وفاته سنة ثماني عشرة من الهجرة رضي الله عنه بالاردن.

مسائل وفوائد :

١ -معنى الحديثِ القدسي :

لغةً: القُدْسِيُّ نسبة إلى «القُدْس»؛ أي: الطُّهْر، والمراد : الحديث المنسوب إلى الذات القدسية، وهو الله سبحانه وتعالى.

اصطلاحًا: هو ما نُقل إلينا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع إسناده إياه إلى ربه عزَّ وجلَّ، وليست فيه خصائص القرآن المعروفة .

والفرق بينه وبين القرآن:

أ - أنَّ القرآنَ لفظُه ومعناه عن الله -تعالى- والحديث القُدسي معناه من الله، ولفظه عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم.

ب - والقرآن متعبدٌ بتلاوته، والحديث القدسي لا يُتَعَبَّدُ بتلاوته.

ج - القرآن يشترط في ثبوته التواتر، والحديث القدسي لا يشترط في ثبوته التواتر، بل فيه المتواتر والصحيح والضعيف، وقد كتب الناس فيه كتبًا عديدة .

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله :

إنّ الحديثَ القُدْسِيَّ معناه مِن عند الله ، ولفظهُ لفْظُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الراجح .

ثم لو قيلَ : إنّ الأَوْلَى تركُ الخوضِ في هذا ، خوفًا مِن أنْ يكونَ مِن التنَطُّعِ الهالكِ فاعلُهُ ، والاقتصارُ على القول : بأنّ الحديثَ القُدْسِيَّ ما رواه النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن رَبِّه وكفى ، لكانَ كافيًا ، ولعلّه أَسْلَمُ والله أعلمُ ».[1]

٢ - موضوعه فضلُ محبة الله وأسباب تحقيقها :

وهو ندب إلى التواصل الاجتماعي ، والتزاور الإيماني ، وسؤال المؤمنين بعضهم عن بعض.

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين» ٩/ ٦٠.٥٩

٣- حقيقةُ محبة اللّه :

وهي صفة ثابتة له تعالى، يثبتها له أهل الحق؛ ويعتقدون أن المحبة صفة حقيقيَّة لله تعالى على ما يليق به - عز وجل -، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا. كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته والتعطف به .

ومعنى وجبت: أي ثبتت وحقت، كما في بعض الروايات .

٤- حقيقة المجالسة:

من جالس بمعنى مخالطة الأَصْحَابِ والجُلُوسُ مَعَهُمْ والتحدث إِلَيْهِمْ، والأنس بهم في مرضاة الله، من خلال ذكر وعلم وفضيلة ، وعبارات مقربة للحي القيوم ، وقد قالوا :مجالسة الإخوان مسلاةٌ للأحزان.

٥- حقيقة التزاور :

الزيارةُ من مصدر الزوْر تعني الميل والرغبة إلى طرف والعدول

عن غيره، ولابنِ فارس في المعجم» الزاي والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول» .

وفي الاصطلاح : قال في المصباح المنير:«الزيارة في العرف تعني قصد المزور إكراماً له واستئناساً به.»

٦- حقيقةُ المباذلة:

يُرِيدُ يبذلون أنفسهم في مرضاته من الاتفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به ويعطيه ماله إن احتاج إليه فيبذلون لله تعالى ، ولإخوانهم حباً ومروءةً وإحسانا .

٧- فضلُ الحب في الله :

من أوثق الصلات، وأعمق القربات، وأرفع الدرجات ، وهو شيوع الحب في الله بين أهل الإسلام ، وقد صحت فيه النصوص ، وتظافرت المرويات، ومنها :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً -طريقه-، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمه تربها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحببته فيه) .[1]

وحديث أبي هريرة أيضا ، قال صلى الله عليه وسلم : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه) .[2]

والحديث القدسي : (إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) .[3]

وحديث (والَّذي نفسي بيدِه لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ولا

(١) رواه مسلم (٢٥٦٧).
(٢) البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).
(٣) مسلم (٢٥٦٦).

تؤمنوا حتَّى تحابُّوا أولا أدلُّكم علَى شيءٍ إذا فعلتُموهُ تحاببتُم أفشوا السَّلامَ بينَكم).[1]

٨- أصناف المُجالَسين:

تارةً أبواك، أو أصحابك المقربون ، ومنهم العلماء والخيار .

ومنها تتنوعُ المجالس العلمية والأخوية والأسرية ، واذا ساء الاختيار كانت المجالس عبثية أو إلهائية ، بحيث تكون سوءًا وشرا على أصحابها.

قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ)[2].

ولفظ الترمذي للحديث : (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ

(١) مسلم (٥٤) ابن ماجه (٥٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٥٦)

وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)[1]

وصحّ حديث: (ما من قومٍ يقومونَ من مجلسٍ لا يذكرونَ اللّهَ فيهِ إلا قامُوا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ،وكان لهم حسرة).[2]

قال الإمام النووي رحمه اللّه :

« يكره لمن قعد في مكان أن يفارقه قبل أن يذكر اللّه تعالى فيه، لحديث أبي هريرة عن رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم ... وذكر الحديث » انتهى.[3]

٩- فوائد المجالس:

تعميقُ الصلات وتقوية الروابط الإيمانية، والاستفادة ، وتحقيق الثبات، وانشراح الصدر، وتناصح الخيار، وتثبيت جانبهم، وعلو رايتهم . وقد كان السلف قبلنا يتجالسونَ ويتزاورون للفائدة

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٣٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢٤١)، وأحمد (١٠٦٨٠).

(٣) « المجموع » (٤/٤٧٧-٤٧٨).

الإيمانية ، واشتهر عن معاذ رضي الله عنه وعلقه البخاري في الصحيح : (اجلسْ بنا نؤمن ساعة).

قال الحافظ رحمه الله : والتعليق المذكور وصله أحمد وأبو بكر أيضا بسند صحيح إلى الأسود بن هلال قال: قال لي معاذ بن جبل « اجلس بنا نؤمن ساعة » وفي رواية لهما : كان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه. وعرف من الرواية الأولى أن الأسود أبهم نفسه. ويحتمل أن يكون معاذ قال ذلك له ولغيره. ووجه الدلالة منه ظاهرة؛ لأنه لا يحمل على أصل الإيمان لكونه كان مؤمنا وأي مؤمن، وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد إيمانا بذكر الله تعالى.(١)

وروى البيهقي في « شُعب الإيمان » من طريق عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ قَالَ لِصَاحِبٍ لَهُ : تَعَالَ حَتَّى نُؤْمِنَ سَاعَةً . قَالَ : أَوَلَسْنَا بِمُؤْمِنَيْنِ ؟ قَالَ : بَلَى، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ الله فَنَزْدَادُ إِيمَانًا .

(١) انظر فتح الباري ١/ ٤٨ .

قال ابن رجب : وقد رُوي مثله عن طائفة مِن الصحابة ، فَرَوى زبيد ، عن زر بن حبيش قال : كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: «هَلِمّوا نَزداد إيمانا ، فيذكرون اللّه » .

وإذا كان هذا منهجًا للسلف رضي اللّه عنهم، ودلت عليه النصوص فنحن أحرى بهذه الخصلة ، لنحافظَ على ديننا، ونثبّت استقامتنا ، جنبنا اللّه جميعا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

١٠ - تعظيم النية الصالحة وتحسينها:

فكلما صح المقصدُ للّه، بورك فيه، لأن هذه الخصال إنما مُدحت لأنها قامت في ذات اللّه، وليس فيها أهواء البشر، ومصالحهم .

١١ - الأسباب الجالية لمحبة اللّه:

قال الإمام ابن القيم رحمه اللّه : فصل في الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمُوجِبَةِ لَهَا وَهِيَ عَشَرَةٌ.

أَحَدُهَا: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ، كَتَدَبُّرِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيَشْرَحُهُ. لِيَتَفَهَّمَ مُرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ.

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ. فَإِنَّهَا تُوَصِّلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ.

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ: بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ. فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ.

الرَّابِعُ: إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَالتَّسَنُّمُ إِلَى مَحَابِّهِ، وَإِنْ صَعُبَ الْمُرْتَقَى.

الْخَامِسُ: مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا. وَتَقَلُّبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَمَبَادِيهَا. فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ. وَلِهَذَا كَانَتِ الْمُعَطِّلَةُ وَالْفِرْعَوْنِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ عَلَى الْقُلُوبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ.

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ، وَنِعَمِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى مَحَبَّتِهِ.

السَّابِعُ: وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا، انْكِسَارُ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَيْسَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ الْأَسْمَاءِ وَالْعِبَارَاتِ.

الثَّامِنُ: الْخَلْوَةُ بِهِ وَقْتَ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ، لِمُنَاجَاتِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَالْوُقُوفِ بِالْقَلْبِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ خَتْمِ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالْتِقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ كَمَا يَنْتَقِي أَطَايِبَ الثَّمَرِ. وَلَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْكَلَامِ، وَعَلِمْتَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ، وَمَنْفَعَةً لِغَيْرِكَ.

الْعَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْعَشْرَةِ: وَصَلَ الْمُحِبُّونَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَحَبَّةِ.

وَدَخَلُوا عَلَى الْحَبِيبِ. وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَانِ: اسْتِعْدَادُ الرُّوحِ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَانْفِتَاحُ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.[1]

١٢ - المجاهدةُ في تحقيقِ النية الصالحة:

في هذه الخصال العظيمة ، وجعلُها في مرضاة الله، مخلصةً ناصحةً، حيث قيدها كلها (للمتجالسين فيَّ...).

وتنبع عند الناس مقاصد أخرى ومآرب دنيوية كالشهرة والانتفاع ، والظهور والمجاملة، تحرم من ثواب المحبة الإلهية وآثارها .

١٣ - حقيقة التناصح:

النصيحة هي إرادة الخير للمنصوح، بفعل ما ينفعه أو ترك ما يضره أو تعليمه ما يجهله ونحوها من وجوه الخير ؛ولهذا سماها النبي ديناً (الدين النصيحة) ، وجعلها من حقوق المسلمين فيما

(١) مدارج السالكين ٣/١٨.

بينهم (حق المسلم على المسلم ست ومنها : وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ) رواه مسلم .، وبايع بعض صحابته على النصح لكل مسلم قال جرير (: بايعت رسول الله على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم؛ متفق عليه..)، وعدد جوانب النصح ومجالاته عندما سئل النبي لمن النصيحة ؟ فقال (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم). فالنصيحة تقتضي أن تفعل للآخرين من الخير ما تحبه لنفسك.فالنصيحة عبادة عظيمة تعبر عن الدين كله.

١٤ - فضيلة التلاقي الإيماني والتزاور الاجتماعي:

وأن المرء مدني بطبعه، والمؤمن قوي بإخوانه ، وكراهية الوحدة في العيش والسفر والعلم والتحصيل .

١٥ - خيرُ من يزار الوالدان والعلماء والصلحاء وفضلاء الناس:

ومن إذا رُؤوا ذكر الله، وانتفع الناس بدينهم وصلاحهم . قال صلى الله عليه وسلم :(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا . وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ) .[١]

١٦ - في زيارة الوالدين ومجالستهم ترسيخ محبتهم :

والسؤال عنهم وإيناسهم، والواجبُ إخبارهم وتخير الزمن المناسب ، ومراعاة نومهم ومرضهم وراحتهم .

١٧ - فيه فضلُ زيارة العلماء مدارستهم والتعلم من فقههم والقراءة عليهم :

والاستفادة من عقولهم وأخلاقهم. وقد كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون، ونحو خمسمائة يكتبون -يعني يكتبون الحديث، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت

(١) رواه أحمد (٣٢٣/٥) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٢) .

١٨ - في زيارة الإخوان تثبيتهم على الطريق، والتخفيف عنهم والسؤال عن أخبارهم وشؤونهم .

١٩ - في الحديث إيماء إلى ذم الهجر والتقاطع:

وتطويل الجفوة بين المجتمع المسلم، لا سيما الأقارب والإخوة والجيران ، وطلاب العلم . فإن كانت قطيعة فهي مذمومة ، قال الرسول صل الله عليه وسلم : (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال. أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا).

وإنما ينتصر على تلكم الصفاتِ الذميمة من طهر الله قلبه، وصفى إيمانه ، وعاش تسامحا خصيبًا ، ولا يتوقف عند بنيات الطريق، ويقابل القطيعة بالصلة ، والجفاء بالرفق، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا).

وقال الشاعر العربي المقنع الكندي، في العصر الأموي :

وَإن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي	وَبَين بَني عَمّي لَمُختَلِفٌ جِدّا
أَراهُم إِلى نَصري بِطاءً وَإِن هُمُ	دَعَوني إِلى نَصرٍ أَتيتُهُم شَدّا
فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لُحومَهُم	وَإِن يَهدِموا مَجدي بَنيتُ لَهُم مَجدا
وَإِن ضَيَّعوا غَيبي حَفِظتُ غُيوبَهُم	وَإِن هُم هَوَوا غَيِّي هَوَيتُ لَهُم رُشدا
وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم	وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا !

٢٠ - مشروعيةُ إخبار المؤمن أخاه بمحبته وصلته :

جاء في الحديث عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعْلَمْتَهُ ؟ قَالَ: لَا . قَالَ : أَعْلِمْهُ . قَالَ : فَلَحِقَهُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ).[١]

(١) أبو داود (٥١٢٥/) ، وصححه النووي في «رياض الصالحين».

قال المُناوي رحمه الله :

«(فليخبره أنه يحبه لله):

فليخبره بمحبته له ندبا ، بأن يقول له إني أحبك لله . أي : لا لغيره من إحسان أو غيره ، فإنه أبقى للألفة ، وأثبت للمودة ، وبه يتزايد الحب ويتضاعف ، وتجتمع الكلمة ، وينتظم الشمل بين المسلمين ، وتزول المفاسد والضغائن . وهذا من محاسن الشريعة»[1]

٢١- فضيلة إحياء المساجد بالدروس والمجالس العليمة، والحِلق الإيمانية:

وما شُيدت المساجد الا للذكر والصلاة، والعلم وتلاوة القرآن، وإخراجها عن وظيفتها يضعف دورها ، ويضر بمرتاديها .قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧).

(١) انظر فيض القدير (٣١٩/١) .

وقد كان المسجد زمان رسول دارا للصلاة والعلم والفتوى، ومحلا للشورى والحرب والقضاء وغير ذلك .

٢٢- جوازُ الحلف بلا استحلاف، وصحة استحلاف المسلم لتصديق كلامه وتأكيده.

٢٤- أن تحابَّ المؤمنين لا يحول دون نصيحتهم ، كما قال هنا : (والمتناصحين فيَّ) .

٢٥- لما كان تواصلُ الناس للمصالح نبه الحديث على الإخلاص فيها وتحقيق النية:

وفي ذلك تربية على الإخلاص ، ومجاهدة لنا ليكون منهجا عاما وثابتًا في سلوكنا وتعاملاتنا .

٢٦- أن المجالسةَ في الله والحب فيه يقتضي الكلام الطيب:

والتواضع، وحُسن الملافظ ، والنصيحة العطرة، والمسألة المفيدة، فما أجمل استغراقنا فيها بذكر الله، والعلم النافع،

والذكرى المؤثرة . ولا حرج من كلامٍ مؤنس ، ومزاح لطيف ، يثبّت العلائق ، ولا يكدرها .

٢٧ - جاذبيةُ الشخصية البسامة اللطيفة:

لقوله (براق الثنايا) فهي محمولةٌ على تبسمه ولطافته، أو بياض أسنانه. وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق). أي باسم مشرق .

٢٧ - علو مقام الشخصية العلمية :

ومكانتها عند الناس ، فهي محل صدور الناس وورودهم، وموطن حل مشكلاتهم ومعضلاتهم.

قال الحسن رحمه الله : (لولا العلماء لكان الناس كالبهائم). و قال ربيعة بن عبدالرحمن رحمه الله : (الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم).

وقال ابن عيينة رحمه الله : (أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء) .

و قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:... (أقرب الخلق من الله العلماء).

فَفُزْ بِعِلْمٍ تِعِش حَيًّا بِه أَبَدا ..النَّاسُ مَوتى وأَهلُ العِلم أَحْيَاءُ

مَا الفَخْرُ إلا لأَهلِ العِلمِ إنَّهُمُ ..على الهُدَى لِمَن اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ

٢٨ - استحبابُ تبشير المسلم؛ وإخباره بالحقائق الشرعية:

والكنوز النبوية ، لقوله : أبشر فقد سمعت رسول الله ...! قال تعالى : ﴿والّذِينَ اجْتَنَبُوا الطاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها وأنابُوا إلى اللّهِ لَهُمُ البُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ﴾ (الزمر: ١٧).

قال في الحديث : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَعَث مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ : « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا ».[١]

قال النووي رحمه الله : وفي هذا الحديث : الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته ، والنهي عن

(١) البخاري (٣٠٣٨) مسلم (١٧٣٢).

التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد ، محضة من غير ضمها إلى التبشير .[1]

واشتهر قوله عليه الصلاة والسلام: عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .[2]

وفي البشائر لينٌ وفرح وإيناس، وتواصل وتوادٌ واهتمام .

٢٩ - استحبابُ التهجير - أي التبكير - إلى المساجد:

ودروس العلم، ولقاء الأفاضل ، حيث قال هنا : هجرتُ، وفي الصحيحين قال عليه الصلاةُ والسلام : (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ،..).[3]

ويشمل التبكير كل خصال الخير قياسا على الصلوات .

(١) انظر شرح النووي ٦/٤١ .

(٢) أبو داود (٥٦١) الترمذي (٢٢٤).

(٣) البخاري (٦١٥) مسلم (٤٣٧).

٣٠ - ومن فوائد الحديث:

أنّ الأمـة المسلمـة أمـة واحـدة يشـدها الـتـواصـل والـتـعـاضـد ، ويمـزقـهـا الـتـقـاطـع والـتـجـافي ، ولـذلـك تـنـتـظـم هـذه الـخـصـال الاجتماعية لتجسد وحدة المسلمين وحين تواصلهم وتآزرهم. قال تعالـى : (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات .

٣١ - أن الإنتاجَ المثمر، والإبداع الفكري والحضاري:

إنما يكون غالبا ثمرة تواصل المؤمنين ومشاورتهم ، ومدارسة شؤونهم وأوضاعهم.

٣٢ - أن التواصلَ الإيماني والتناصح الأخوي:

نافذة إلى العمل الاجتماعي والمؤسسي الذي ينفع المجتمع ، ويقضي حوائجهم.

٣٣ - أن الرد عند الاختلاف يكون للعلماء الربانيين:

والذي هو طبعا رد إلى الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ.

وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يَرُدَّ التَّنَازُعَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشُّورَى:١٠) فَمَا حَكَمَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أَيْ: ردوا الخصومات والجهالات إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي مَجَالِ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.[1]

٣٤ - اقتضاءُ العلم العمل:

وحسنُ سيرة صحابة رسول الله التزاما وجداً واتباعًا ، فلقد رؤي عالمًا ، ومبكرا في الصلاة والخيرات (فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي..).

٣٥ - حسنُ التأدب مع العلماء والناس:

ومقابلتهم من الواجهة وليس من الخلف، لئلا يكون ثمة ترويع، وقد صح حديث رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا). وإفشاء السلام عند التلاقي وذلك من سنن المسلمين.[2]

٣٦ - لمحبة الله تعالى ثمرات على العباد منها:

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٤٥ .

(٢) أبو داود (٦٠٠٤). امد (٢٣٠٦٤).

القبولُ في الأرض، كما في حديث البخاري (٣٢٠٩): « إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » .

والتوفيق في الحياة لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ). البخاري (٦٥٠٢).

ومنها: تحقيق السعادة والانشراح، ومحبة شرعه والثبات عليه، والحرص على منفعة الناس.

ومنها: صدقُ العبدِ في محبة الله والتفاني في طاعاته، يقول العلامةُ ابن القيم رحمه الله: «وَأَعْظَمُ أَنْواعِها المَحْمُودَةِ: مَحَبَّةُ اللَّهِ وحْدَهُ، وهَذِهِ المَحَبَّةُ هي أصْلُ السَّعادَةِ ورَأْسُها الَّتِي لا يَنْجُو أحَدٌ مِنَ العَذابِ إلّا بِها، والمَحَبَّةُ المَذْمُومَةُ الشِّرْكِيَّةُ هي أصْلُ الشَّقاوَةِ ورَأْسُها الَّتِي لا يَبْقى في العَذابِ إلّا أهْلُها، فَأهْلُ المَحَبَّةِ الَّذِينَ أحَبُّوا اللَّهَ وعَبَدُوهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَدْخُلُونَ النّارَ، ومَن دَخَلَها مِنهم بِذُنُوبِهِ فَإنَّهُ لا يَبْقى فِيها مِنهم أحَدٌ.

وَمَدارُ القُرْآنِ عَلى الأمْرِ بِتِلْكَ المَحَبَّةِ ولَوازِمِها، والنَّهْيِ عَنِ المَحَبَّةِ الأُخْرى ولَوازِمِها، وضَرَبَ الأمْثالَ والمَقايِيسَ لِلنَّوْعَيْنِ، وذَكَرَ قَصَصَ النَّوْعَيْنِ، وتَفْصِيلَ أعْمالِ النَّوْعَيْنِ وأوْلِيائِهِمْ ومَعْبُودَ كُلٍّ مِنهُما، وإخْبارِهِ عَنْ فِعْلِهِ بِالنَّوْعَيْنِ، وعَنْ حالِ النَّوْعَيْنِ في الدُّورِ الثَّلاثَةِ: دارِ الدُّنْيا، ودارِ البَرْزَخِ، ودارِ القَرارِ، والقُرْآنُ جاءَ في شَأْنِ النَّوْعَيْنِ.

وَأصْلُ دَعْوَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ مِن أوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، إنَّما هي عِبادَةُ اللَّهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، المُتَضَمِّنَةُ لِكَمالِ حُبِّهِ، وكَمالِ الخُضُوعِ والذُّلِّ لَهُ، والإجْلالِ والتَّعْظِيمِ، ولَوازِمِ ذَلِكَ مِنَ الطّاعَةِ والتَّقْوى.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ أنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قالَ: «والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أحَدُكم حَتّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ».

٣٧- إضافةُ كل هذه الخصال الطيبة الى الله ومرضاته ، يمنع استعمالهم ما حرّم عليهم، أو جرهم الى لغووسفه وطيش .

وأن المجالس المنتظمة في الغيبة والكذب ليست لله، ويوآخذ عليها أصحابها. ولذلك حذر الإسلام من مجالس السوء، والصديق السيئ ، قال في الحديث : عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالح

وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً).[١]

قال النووي رحمه الله: فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة .[٢]

وقال عليه الصلاة والسلام : (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) .[٣]

(١) البخاري (٢١٠١) (مسلم (٢٦٢٨).

(٢) شرح النووي ١٧٨/٨ .

(٣) أبو داود (٤٨٣٣).

وقال مالك بن دينار رحمه الله: « إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الحلوى مع الفجار».

وقال موسى بن عقبة رحمه الله : «إن كنت لألقى الأخ من إخواني فأكون بلُقياه عاقلاً أياماً «أي متأثراً به»».

٣٨- أن الحياةَ الاجتماعية المسلمة قائمة على الحب والمجالسة والتزاور والتناصح:

والإخلال بها يعكر الجو الإيماني ، ويورث الفردانية والأنانية والانطوائية .

٣٩- تفاضلُ أهل الإيمان في قربهم من الله حبًا وتقوى واستقامة، وأن من المؤمنين من له ولاية الحب والتعظيم والرعاية، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (المائدة: ٥٤) .

وقال عز وجل : ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ (طه: ٣٩) .

(١) دليل الفالحين ٥/١٠٠ .

أي ألقى الله على موسى محبةً عظيمة كائنة من الله تعالى في قلوب عباده لا يراه أحد إلا أحبه.

وقيل المعنى أحببتك؛ ومن أحبه الله أحبه الناس، والقلوب لا محالة. قال ابن عباس: كل من رآه ألقيت عليه منه محبة، وعن سلمة بن كهيل قال: حببتك إلى عبادي، والمنة الثالثة قوله: (ولتصنع على عيني) أي ولتربّى وتغذّى بمرأى مني، ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الإنسان الشيء بعينه إذا اعتنى به.

٤٠- أن إعمال هذه الخصال الاجتماعية بيننا:

مؤذنٌ بالنصرة والتعاون وتقوية الروابط، وحل إشكالات الفقر والمرض والعجز، فالأمة واحدة متماسكة، يجمعها دينها وتوحيدها، والواجبُ التعاون في ذلك وتحقيقه.

٤١- حُسنُ التربية النبوية:

وفضل تعاهدها للشباب وجعلهم منائر هدىً، يشعون الخيرات أينما حلوا..(فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا ، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ،).

٤٢- فضلُ التصافي في العلاقات الإيمانية:

وقد نص عليها في بعض الروايات ، وأن إدامة التزاور والتجالس طريق الى التصافي وسلامة الصدر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر:١٠).

وقال: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا على سررٍ متقابلين) (الحجر: . وهو باب من أبواب الجنة ، وكم من مقلٍ في العبادة، رفعه الله بسلامة صدره وطهارة قلبه.

قال في فتح البيان: هو الحقد والعداوة والشحناء والبغضاء والحسد ، وكلُّ ذلك مذموم داخل في الغل ، لأنها كامنة في القلب ،

وعن الحسن البصري عن عليّ: فينا والله أهل الجنة نزلت. وعنه قال : نزلت في ثلاثة أحياء من العرب بني هاشم وبني تميم وبني عدي، وفي أبي بكر وعمر، وعنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان والزبير وطلحة فيمن قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وعن ابن عباس قال: نزلت في عشرة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود، وفي الباب روايات.[١]

٤٣ - ويتحقق الصفاء الأخوي بتطهير القلب، ومحبة الإخوان:

وتربية النفس على القناعة، والرضا بفضل الله، والنظر للأسافل، كما قال في الحديث : (انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم ، فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا نعمةَ اللهِ عليكم).[٢]

٤٤ - حُسنُ التأدب مع المصلي وانتظاره حتى يقضي صلاته .

(١) انظر فتح البيان للقنوجي ١٧٤/٧ .

(٢) مسلم (٢٩٦٣) الترمذي (٢٥١٣).

٤٥- ذكر العلماء آدابًا للمجالسة منها :

اختيار المكان المناسب للمجلس، فتكره الطرقات إلا بآدابها ، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:« إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ »، فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ:« فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا » قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ».

والتحية دخولا وخروجًا ، والجلوس بلا مزاحمة، وتوقير الكبار والفضلاء، وطرح المفيد النافع وغيرها .

٤٦- ومن آداب التزاور:

مراعاة الوقت المناسب، وتقدير ظروف العلماء، وعدم الإكثار والإطالة ، وتطييب الكلام، ومراعاة حرمة البيت، وترك التجسس

والعبث والنظرات الآثمة، والاستئذان والتلطف في الكلام ، قال صلى الله عليه وسلم: (الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ).[1]

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى -حديدة- يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ : (لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ).

قال النووي رحمه الله: معناه : أن الاستئذان مشروع ومأمور به، وإنما جُعل لئلا يقع البصر على الحرام ، فلا يحل لأحد أن ينظر في جحر باب ولا غيره مما هو متعرض فيه لوقوع بصره على امرأة أجنبية .

٤٧ - فضلُ جيل الصحابة على من بعدهم:

دينًا وخلقًا وعلما، كما قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

(١) البخاري (٦٢٤٥) مسلم (٢١٥٣).

(٢) البخاري (٦٢٤١). مسلم(٢١٥٦).

الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

وقال في الحديث:

(لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ).

قال النووي رحمه الله: « وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ (الحديد: ١٠)، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد، والخشوع والتواضع، والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة

الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قال القاضي : ومن أصحاب الحديث من يقول : هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته ، وقاتل معه ، وأنفق وهاجر ونصر ، لا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبه آخرا بعد الفتح ، وبعد إعزاز الدين ممن لم يوجد له هجرة ، ولا أثر في الدين ومنفعة المسلمين قال : والصحّيح هو الأول ، وعليه الأكثرون ، والله أعلم». [(١)]

٤٨- أنّ الصلاحَ الظاهر، والعلم الباهر جاذبٌ للناس :

والله اعلم بالنوايا ، والأصل إجراء الظاهر ، والانتفاع بكل ما يلوح من خير وفضيلة .

٤٩- ومن آدابِ النصيحة :

أن يكون دافعهُ في النصيحة محبة الخير لأخيه المسلم ، ونفعه، وأن ينصحه سرًا ليس في جماعة من الناس، ويرفق به ولا يترفع، ويبتغي بها وجه المولى تعالى .

(١) شرح النووي ٧/ ٩٣ .

قال ابن رجب رحمه اللّٰه :

«وأما النصيحة للمسلمين : فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ، ويوقر كبيرهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، وإن ضره ذلك في دنياه، كرخص أسعارهم ، وإن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع في تجارته، وكذلك جميع ما يضرهم عامة ، ويحب ما يصلحهم، وألفتهم، ودوام النعم عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، ودفع كل أذى ومكروه عنهم . وقال أبو عمرو بن الصلاح : النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً » .[١]

(١) جامع العلوم والحكم» (ص ٨٠) .

وللشافعي رحمه الله:

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في انفِرادي وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَهْ
فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه
وَإِن خالَفتَني وَعَصَيتَ قَولي فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَه!!

وقال ابن رجب رحمه الله: «كان السَّلفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ، وعظوه سراً، حتّى قال بعضهم: مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينَه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنَّما وبخه. وقال الفضيل: المؤمن يَسْتُرُ ويَنْصَحُ، والفاجرُ يهتك ويُعيِّرُ».[1]

وقال ابن حزم رحمه الله: «إِذا نصحتَ فانصح سرا لا جَهرا، وبتعريض لَا تَصْرِيح، إلا أَن لا يفهم المنصوح تعريضك، فلا بُد من التَّصْرِيح .... فَإِن تعديت هَذِه الْوُجُوه فَأَنت ظَالِم لا نَاصح».[2]

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٣٦).
«الأخلاق والسير» (ص ٤٥).

٥٠ - حرصُ الصحابة ومسارعتهم في الخيرات:

كما تجلى ذلك من فعل معاذ رضي الله عنه ، فقد سابقه أبو إدريس الخولاني فوجده قد سبقه، وفيه اقتضاء العلم العمل كما تقدم، وبيان علامات القدوة في الشخصية السلفية والعلمية، وأن حملة العلم محل أنظار الناس وتطلعاتهم .



تم بوح الخبايا بفوائد حديث براق الثنايا ،

والحمدُ للّه على توفيقه وتيسيره .

اللهم حبّب إلينا السنة ، واجعلنا من أهلها

والعاملين بها ، إنك جواد كريم .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٦٢) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية .
- الأربعون المعالي.
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني.
- نثار العلم .
- من جماليات السيرة النبوية.
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية .
- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.
- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).

- روائع الكلم النبوي .
- وكلها من (دارتكوين).
- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .
- نسماتٌ من أم القرى .
- مواتُ المروءة (شعر).
- وطن ومنن (شعر).
- الطِّلاب الأعظم (شعر)
- فهزموهم بإذن اللّٰه (شعر).
- توهجات النيل(شعر).
- كورونا وليمونا (شعر).
- مدائن الألباني.(شعر).
- عاصفة الحزم (شعر).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .

- سلسلةُ أربعينيات حديثية متنوعة.
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعدُ قرآنية لفهم الدعوة.
- مقدمات التغيير النبوي.
- من جماليات السيرة.
- الاحتفالُ بالسبع الطوال.
- محاسنُ التزيين بمعاني المئين
- حسنُ التداني من لبّ المثاني.
- الغصنُ المكلل من معاني المفصل.
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.
- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.
- اغتنامُ الدرر من سورة العصر.

- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.
- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.
- سيدةُ الآيات وفريدة الهبات .

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

